المفهوم الخدمى للمكتبات والمعلومات

بقلم رئيس التحرير

يبدو من الضرورى فى البداية الاتفاق حول مجموعة من العناصر التى يمكن أن تفسر الإطار العام لعلم المكتبات والمعلومات. هذه العناصر هى:

(١) أن علم المكتبات والمعلومات يشكل مجالاً متميزاً من مجالات المعرفة البشرية له ظاهرة محددة يدرسها، وله موضوعه المحدد الذى ينشغل به مجموعة من المختصين. والظاهرة التى يتناولها العلم بالدراسة هى ظاهرة «المعلومات» بأبعادها المختلفة، أما الموضوع فهو أوعية أو مصادر المعلومات ابتداء من إنتاجها أو بثها حتى استخدامها أو طلبها.

(٢) أن هذا العلم هو «الدراسة المنهجية والتحليل للمعلومات فى كل أشكالها من حيث: المصادر، التطور، الجمع، التنظيم، البث، التقييم، الاستخدام، والإدارة، ويتضمن ذلك القنوات (الرسمية وغير الرسمية) والتكنولوجيا المستخدمة فى توصيلها»[١].

وفى تعريف آخر:

«تخصص يبحث فى خصائص المعلومات وطبيعة عملية نقل المعلومات، مع الأخذ فى الاعتبار للجوانب العملية المتعلقة بجمع المعلومات وفحصها وتقييمها وتنظيم بثها من خلال الأدوات الفكرية الملائمة والتكنولوجيا»[٢].

(٣) أن الهدف النهائى هو تحقيق الاتصال المستمر بالمعرفة لعدة أغراض منها الإعلام والترويح والثقافة والتعليم والإبداع العلمى المفيد للبشرية.

بعض التساؤلات:

أشار المشتغلون بفلسفة هذا العلم وتنظيره العديد من التساؤلات التى تتعلق بجوانب مثل:

* هل هو علم أم فن أم دراسات!
* هل المجال هو: المكتبات أم المعلومات أم المكتبات والمعلومات أم المعلومات والمكتبات؟
* هل من الأفضل الانشغال بنظريات تتناول الجوانب المختلفة للمجال وصولا إلى نظرية موحدة للمجال أم أن العكس هو الصحيح، أى أن نبدأ بنظرية موحدة للمجال؟
* هل من الضرورى الارتباط بمؤسسات معينة؟
* هل من الضرورى وجود قوانين عامة تحكم سير هذا المجال أم أن الأمر لا يتطلب أكثر من الإرشادات العامة أو اللوائح أو النظم وما شابه؟
* هل المجال يتعلق بكل دورة نقل المعلومات من جوانب فكرية ومادية واقتنائية استخدامية أم أنه يتعلق فقط بالجوانب الاقتنائية الاستخدامية؟

ليس من السهل الإجابة عن هذه التساؤلات، ولكننا سنعرض فيما يلى بإيجاز لآراء وأفكار بعض الباحثين العرب حول هذه التساؤلات؟

الاتجاه للتنظير لدى الباحثين العرب:

أ/ نظرية الذاكرة الخارجية للدكتور سعد الهجرسى

انشغل الأستاذ الدكتور سعد الهجرسى بوضع تصور أو إطار نظرى لتخصص المكتبات والمعلومات فى الفترة من ١٩٧٥ حتى ١٩٩١. وقد تطورت الأفكار التى قدمها بعد ولادتها فى السبعينات من القرن العشرين بضع مرات حتى ظهرت فى آخر صورها فى أوائل التسعينات من القرن العشرين.

وهكذا شغل هذا العالم نفسه فى وضع حدود موضوعية ثابتة لهذا التخصص، وكان حجر الزاوية فى عمله هو ذلك التعبير السهل الممتنع «الذاكرة الخارجية» وقد استخدمه استخداماً علمياً لتوضيح نظريته «نظرية الذاكرة الخارجية». وهو أشبه ما يكون بفرض عام لتفسير وربط مجموعة من القوانين والحقائق فى مجالات البحث والتأليف والنشر والاقتناء والتنظيم الفنى وخدمات المكتبات والمعلومات والضبط الببليوجرافى وما يتصل بذلك كله من التخصصات الفرعية.

والذاكرة الخارجية فى مفهومه هى امتداد للذاكرة الخارجية للفرد، ولكنها تتميز بأنها امتداد مادى محسوس يعتمد على وجود الوسائط الخارجية أو الأوعية ومن ثم فإن عنصر «الوعائية» هو حجر الزاوية فى وجود الذاكرة الخارجية باعتبار أنها تتمثل أساساً فى الأوعية.

وهو يرى أن الموضوع فى تخصص المكتبات والمعلومات هو «المعلومات» بعد أن تتجسد فى وعاء ما، وأن التخصص يتعامل مع تلك الأوعية من حيث الضبط والاستخدام كجانب من جوانب الدورة الكاملة للمعلومات التى تضم: الخبرة والمحتوى، التصنيع والتوزيع، الضبط والاستخدام. وهو يرى أيضاً أن الاسم المعيارى للتخصص هو «المكتبات والمعلومات».(٣)

لا شك أن هذا الإسهام الرائد له قيمته الكبيرة كفكر متميز، إلا أن المشكلة ظهور تطورات تكنولوجية هائلة فى أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين تمثلت فى قمتها فى الإنترنت كشبكة عالمية للمعلومات. وقد أثرت هذه التطورات فى مفهوم الوعائية فلم يعد من الضرورى تقديم المعلومات فى وعاء مادى، كما أثرت فى مفهوم الاقتنائية، فقد صارت الإتاحة أهم من الملكية.

ب/ النظرية الرابطة للدكتور أحمد بدر

يرى الأستاذ الدكتور أحمد بدر أن «النظرية الرابطة أو المشاركة هى النظرية التى يقترحها لتخصص المعلومات والمكتبات، ذلك لأن النقد المعاصر لكل من علم المعلومات والمكتبات – متحدين أو منفصلين – يتمثل فى الافتقار للقاعدة المعرفية النظرية التى تميزهما عن العلوم والتخصصات الأخرى، ويتمثل فى الافتقار إلى الإطار الفكرى الذى يمد الباحثين بإمكانية التنسيق البحثى اللازم للتطوير النظرى، فضلاً عن أن كلا من هذين العلمين يعتبران من العلوم الوسيطة أو الرابطة Metasciences ويعتمدان فى نموهما على علوم أخرى عديدة».(٤)

ويذكر د. بدر أن هذه النظرية الوسيطة تعتمد كلياً على مفهوم التعددية الموضوعية المتداخلة لعلم

المعلومات وعلم المكتبات نظراً لأن كل منهما يعتبر علما وسيطا.

جـ/ امتدادات الذاكرة الخارجية للدكتور كمال عرفات

جذب مصطلح «الذاكرة الخارجية» اهتمام باحث آخر هو الأستاذ الدكتور كمال عرفات. وقد تناول عرفات فكرة الامتداد التى تقوم عليها نظرية الذاكرة الخارجية للهجرسى فى ضوء نظرية ماكلوهان الاتصالية الحضارية، واعتبر أن الامتداد لابد أن تتطور له امتدادات جديدة ومستمرة طالما كان الامتداد ظاهرة تطورية جدلية لا تتوقف فى الإبداع ومن ثم يرصد عرفات امتدادات الذاكرة الخارجية التى أمكنه التوصل إليها اعتماداً على الأساس الذى قام عليه بحثه وهو أن الذاكرة الخارجية نشأت كامتداد للذاكرة الداخلية للإنسان.

وقد أورد د. عرفات ١٩ امتداداً منها:

الامتداد الكمى، الامتداد الزمنى، الامتداد المكانى، امتداد الضبط الببليوجرافى، امتداد الضبط المرجعى، الامتداد الآلى فى تشغيل الأوعية واسترجاع مخزونها، امتداد المعالجة والتحكم، امتداد التفاعل المعرفى مع الذاكرة الخارجية.[٥]

د/ قراءة فلسفية جديدة لمبادئ رانجاناثان للدكتور هانى عطية:

بعد عرض لمبادئ رانجاناثان الخمسة المعروفة (الكتب وجدت للاستخدام، لكل كتاب قارئه، لكل قارئ كتابه، إحرص على وقت القارئ، المكتبة كائن متنام)

وبعد عرضه لما تناوله كثير من الباحثين فيما يتعلق بهذه القضية بالمراجعة والنقد والتفسير والإضافة، يقدم هو الآخر خمسة مفاهيم لتقابل مبادئ أو قوانين رانجاناثان بترتيبها ولكن فى منظومة المعلومات المعاصرة وهى:

* المعلومات للمنفعة العامة.
* المعلومات عمليات قيمة مضافة.
* المعلومات قيم أخلاقية (تعمل فى بيئة) اجتماعية – دينية.
* المعلومات ظاهرة متعددة الارتباطات الموضوعية.
* المعلومات دالة فى الزمان والمكان.[٦]

المفهوم الخدمى للمكتبات والمعلومات:

أريد بداية أن أؤكد على ضرورة الارتباط بمصطلحين مهمين هما المكتبات والمعلومات.

الأول: «المكتبات» لأنه يعنى المؤسسة:

المؤسسة هى الكيان المادى أو حتى اللامادى التى تمارس أنشطة معينة مرتبطة بالمعلومات تؤدى بواسطة أشخاص معينين لخدمة البشر والمجتمع.

والثانى هو: «المعلومات» كسلعة يتم الحصول عليها وتداولها ، وهى جوهر التعامل والعمل.

هذا التخصص بلا «مؤسسة» هو تخصص لا هوية له.

وهذا التخصص بلا «معلومات» هو تخصص لا هوية له.

إن المفهوم الخدمى قائم على أن المعلومات التى تنشأ أو توجد يستفيد منها منشئها ويمكن أن يستفيد منها الآخرون أيضاً، وبعبارة أخرى:

أن هذا المجال هو المعنى بتلبية الاحتياجات المعلوماتية أو الخدمة المعلوماتية للبشر والمؤسسات والمجتمع ومن ثم يمكن أن نصوغ عبارة عامة هى:

«تلبية حاجات المعلومات هى الأساس».

وإذا قبلنا هذه العبارة العامة فإننا يمكن أن نحدد أركانها على الوجه التالى:

الركن الأول:

المعلومات المتجسدة فى وعاء مادى أو لا مادى تنشأ لتلبية حاجة مرغوبة أو متوقعة.

ومعنى ذلك أن الركن الأول هو:

أن المعلومات المنتجة بشكل ما هى الأساس الأول للخدمة، والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: إن عدم وجود معلومات يعنى عدم وجود ركن من أركان هذا العلم أو التخصص.

من الإنجازات:

* القياسات الببليوجرافية وقياسات المعلومات والقياسات العلمية للنتاج الفكرى.
* معايير إنتاج مصادر المعلومات.
* معايير تقييم مصادر المعلومات.

الركن الثانى:

المعلومات تقتنى و/أو تتاح كى تؤدى خدمة. ومعنى ذلك أن الركن الثانى هو:

إن مؤسسات المعلومات هى الأساس الثانى للخدمة، والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: إن عدم وجود مؤسسات معلومات يعنى عدم وجود ركن من أركان هذا العلم أو التخصص أو عدم إنجازه لدوره.

الإنجازات:

* تعدد المؤسسات: المكتبات، الأرشيفات، المتاحف، الإنترنت، إدارة البيانات فى المكاتب والمواقع الإدارية الأخرى، إدارة المعرفة ومعايير إنشائها.

الركن الثالث:

المعلومات تضبط وتنظم وتبث كى تؤدى خدمة. ومعنى ذلك أن الركن الثالث هو:

أن الضبط والتنظيم والبث للمعلومات هو الأساس الثالث للخدمة. والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: أن عدم وجود ضبط أو تنظيم أو بث للمعلومات يعنى عدم تقديم الخدمة بشكل فعال أو مناسب.

الإنجازات:

* معايير بناء المجموعات وتقييمها .
* قواعد الفهرسة ونظم التصنيف والمكانز.

الركن الرابع:

المعلومات موجهة لخدمة أفراد أو مؤسسات أو مجتمع. ومعنى ذلك أن الركن الرابع هو:

الكيان أو العلم الطبيعى أو المعنوى فى المجتمع هو الأساس الرابع للخدمة.

والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: لا قيمة للمعلومات ولا قيمة للتخصص المعنى بها ما لم يكن هناك من يستفيد منها.

الإنجازات:

* أساليب دراسة سلوك المستفيدين.

المصادر

(١) Reitz, Joan M. Dictionary for library and informadion science .- Westport, Conn.: Libraries Unlimited, 2004 .- p. 358.

(٢) Bottle, R. T. Information science .- p. 295.
In International encyclopedia of in formation and Library science. - 2nd ed .- London: Routledge, 2003.

(٣) سعد محمد الهجرسى. الإطار العام للمكتبات والمعلومات، أو، نظرية الذاكرة الخارجية .- القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠؛ المكتبات والمعلومات: أسس علمية حديثة ومدخل منهجى عربى .- الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٩١.

(٤) أحمد بدر . بناء النظرية فى علم المعلومات والمكتبات .- عالم الكتب .- مج ١٣، ع ٣ (مايو/ يونيو ١٩٩٢).- ص ٢٢٦ - ٢٤٨.

(٥) كمال عرفات نبهان. الذاكرة الخارجية وامتداداتها: دراسة فى علم المعلومات والاتصال .- القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥.

(٦) هانى محيى الدين عطية. مبادئ رانجاناثان الخمسة فى منظومة الألفية الثالثة: قراءة فلسفية جديدة .- دراسات عربية فى المكتبات وعلم المعلومات .- مج ٦، ع١ (يناير ٢٠٠١) .- ص ٢٤ - ٣٩.

د. محمد فتحى عبد الهادى

obeikandl.com